توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

كان من مزايا الأحوال الثقافية لأواخر العصر المملوكي ظهور عدد كبير من المؤرخين المتميزين الذين لم يقتصر عملهم على التصنيف بل تعدى ذلك الى معالجة عدد كبير من القضايا التاريخية والاجتماعية، ففي هذا العصر عاش في القاهرة ودمشق ابن خلدون ، وفيه عاش المقريزي مؤرخ مصر الاسلامية.

والمقريزي هو: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، ولد في القاهرة سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٥ م منحدرا من أسرة كانت تنتمي بالأصل الى بلدة بعلبك ، قيل انها كانت تقطن في حي من أحياء بعلبك عرف باسم حي المقارزة ، زالت الآن معالمه ، ولم يعد أحد يعرفه.

نشأ المقريزي في كنف جده لأمه، وعرف بابن الصائغ، وكان من فقهاء الحنفية ، لهذا تأثر الحفيد بالجد، فكان حنفيا حتى غدا شابا فتحول الى المذهب الشافعي.

حصل المقريزي على ثقافة عالية ، والتحق بعدد من الوظائف السامية، كما قام بزيارة عدد من بلدان المشرق العربي خاصة : دمشق ومكة، حيث أقام في كل منهما فترة طويلة، وقد انتهت حياته في القاهرة عام ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م.

كان المقريزي غزير الانتاج، وخاصة في ميادين التاريخ، وقد عاصر ابن خلدون وتأثر به كثيراً أثناء اقامته في القاهرة، وقامت بينهما وشائج

من القربى، ويمكن تصنيف نتاج المقريزي الى قسمين: المؤلفات الكبيرة والرسائل الصغيرة، وقد أوقف مؤلفاته الكبيرة إما على موضوع من مواضيع التاريخ الاسلامي العام، أو تاريخ مصر الاسلامية السياسي والعمراني ، عبر عدة مراحل ، أولها منذ الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية ، وثانيها تاريخ لهذه الخلافة حتى سقوطها ، وثالثها منذ نهاية العصر الفاطمي حتى أيامه.

وعالج المقريزي في الرسائل الصغيرة عدد اً من القضايا الهامة جداً، وتظهر في هذه الرسائل أصالة المقريزي وعبقريته العظيمة، وصورة المقريزي في رسائله هي في كثير من الأحيان معاكسة لصورته في مؤلفاته الكبيرة، حيث أنه في غالبية هذه المؤلفات الكبيرة هو كحاطب ليل يغير على مصنفات الذين تقدموه فينقل عنها ما شاء له الحظ أن يفعل دون الاشارة الى مصادره، وهنا اذا حدث وورد ذكر مصدر من المصادر في نص من كتب المقريزي ، فهو في الغالب مصدر اعتمده صاحب الكتاب الذي أغار عليه المقريزي دون ان يسميه.

وعلى الرغم من هذا فان كتب المقريزي على اختلاف أحجامها على درجة عالية من الأهمية ، لأن جل المصادر التي اعتمدها هي محجوبة عنا الآن وتعد بحكم المفقود.

لقد تجمع عند المقريزي مادة تاريخية عملاقة ، أراد في أواخر أيامه تصنيفها في كتاب تاريخ كبير يؤرخ به لمصر وللوافدين اليها ، يجعله في ثمانين مجلده كبيرة مثل تاريخ دمشق لابن عساكر وقد لحق المقريزي بربه قبل أن يتاح له اكمال مشروعه الكبير هذا، الذي بوب مواده حسب حروف المعجم ، وقد قيل انه كتب منه ست عشرة مجلدة قبل ان يتوفى .

لاندري مدى صحة هذه الرواية ، وفي الوقت نفسه لانعرف حجم المجلدة لدى المقريزي ، والذي أعرفه الآن هو أنني وقفت على خمس مجلدات من هذا الكتاب لدي مصورة عنها جميعا، أربع منها بخط المقريزي ، وهذه المجلدات واحد منها محفوظ الآن في مكتبة برتو باشا في استانبول ، ويضم جل الأول وربما بعض الثاني ، وهذا المجلد كبير جدا، نسخه صاحبه ــ كما صرح ــ عن نسخة بخط المقريزي ، أما بقية المجلدات فأحدها في باريس، وثلاثة في ليدن في هولندا، واستخرجت من المجلدات مواد عن الفاطميين، وعن القرامطة وعن العباسيين، والآن استخرجت ما تعلق بعصر الحروب الصليبية.

وكما سلف بي القول ، أوقف المقريزي كتابه « اتعاظ الحنفا» على التأريخ للخلافة الفاطمية، وعدّ هذا الكتاب فيما مضى ومازال يعدّ أفضل مصادر التاريخ الفاطمي وأكثرها حيادية، وأثار هذا الكتاب جدلاً حول المقريزي وميوله المذهبية، عالجها اكثر من باحث، بينهم المرحومان : الدكتور جمال الدين الشيال ، والدكتور محمد مصطفى زيادة.

وقد تم التعرف أولاً الى هذا الكتاب عبر نسخة خطية ناقصة عثر عليها في مكتبة غوطا الألمانية ، ونشرت هذه القطعة أولا سنة ١٩٠٩ بعناية المستشرق الألماني هوجربونز، وقد أعاد المرحوم الشيال نشر هذه القطعة ثانية بعناية أكبر سنة ١٩٤٨ في القاهرة.

وبعد هذا بوقت قصير تم التعرف الى نسخة كاملة من الكتاب تقع في مائة وسبعون ورقة ، وهي محفوظة الآن في مكتبة أحمد الثالث في استانبول .

واهتم المرحوم الدكتور الشيال مجددا بالكتاب ، واستطاع قبل

وفاتـه نشر قسم من الكتـاب عام ١٩٦٧ في القاهـرة، وبعد وفاتـه بأمد أكمل نشر الكتاب فجاء في ثلاثة أقسام.

ومن المحزن حقـا أن الذين عملوا في نشـر هذا الكتاب شـروعا من المـرحوم الـدكتور الشيـال أخفقوا في قـراءة نصه، لهـذا جاءت الطبعـة محشـوة بـالتصحيفـات.وقـد تمكنـت مـن التمييـز بيـن التصحيفـات والأخطاء المطبعيـة ، فبعض التصحيفات جـاء مع سبق الاصـرار حيث وضع الصواب بالحاشية واستبدل بالخطأ بالمتن ، ويخيل لي أن الذين دونت أسمـاؤهم كمحققين للكتاب لـم يتولـوا ذلك، بل كلفوا طـلابهم بالعمل ،ولم يقوموا حتى بالمقابلة والمراجعة .

لقـد اعـدت الآن تحقيق الثلـث الأخير مـن اتعـاظ الحنفـا، وبنيتي تحقيق الكتاب ونشره بأكمله انشاء الله تعالى وأعان.

وكـانت مكتبة المقـريزي غنيـة ، ومصادره ثمينـة، من ذلك « أخبـار مصـر » لابن ميسر تـاج الـدين محمـد بن علي بن يـوسف بـن جلب راغب المتوفى سنـة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م، وفي المكتبة الوطنيـة بباريس مخطـوط رقمـه «١٦٨٨ عـربي » يتكـون مـن ٩٤ ورقـة يحتـوي علـى مختصر الجـزء الثاني من كتاب « أخبـار مصر» والذي تـولى الاختصار هـو المقريـزي، وهذا الكتـاب بالأصـل من أهم مصـادر المقريـزي في اتعاظ الحنفـا وغيره، وانتقيت مما انتقـاه المقريزي المواد ذات العـلاقة بالحروب الصليبية فضبطتها وحققتها مثل بقية مواد المقريزي .

والحمد لله تعالى ومنه جل وعلا استمد العون وأطلب السداد والتوفيق ، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى وعلى آله وصحبه أجمعين.

دمشق ١٤- جمادى ا لأولى ١٤١٦هـ

٨/ ١٠/ ١٩٩٥م

سهيل زكار